الوقف والابتداء بين ثبات المفهوم وتداخل المصطلح

أ.م.د. حيدر جبار دفتر الباحثة هدى شاكر ظاهر
جامعة القادسية / كلية التربية
haedar.dafter@qu.edu.iq

المُلخّص:

دارت رحى الحديث في بحثنا الذي بين يدي قارئنا الكريم، عن حصة مهجورة من (علم الوقف والابتداء)، وهي محاولة نسعى من خلالها في اختبار مدى تطابق مسميات هذا العلم مع مفهومه، والتي أبان عنوان بحثنا -الوقف والابتداء بين ثبات المدلول وتداخل المصطلح- عمَّا به من مقصده وفحواه، حيث باتت تسميات هذا العلم، تعاني من والتعددية، لا الثراء والسعة، كما يظن طالقيها أنها مدلولات متدانية، يرادف بعضها بعضاً.

فهي محاولة أصيلة تسعى في لمِّ شتات التعددية، واختبار مدى تمثيل الدال لمدلولـــــــه، وضبط مدلول الوقف والابتداء قرآنياً ومعجمياً.

Abstract

darat rahia alhadith fi bahthina aladhi bayn yaday qariina alghaydaq, ean hisat 'asbahat muqfiratan min (ealam alwaqf walaibtida'i); hataa badat masaei alsaabiqin walmuhdithin fi tasjil tasmiat hadha aleilmi, walati 'aban eunwan bahathana -alwaqf walaibtida' bayn thabat almadlul wafawdaa aldaal- ma bih min maqsidih wafahwahu, hayth batat tasmiat hadha aleilmi, tueani min alshumul waltaeadudiat waltabieaziq, la althara' walsieati, hayth yazunu taliqiha 'iinaha madlulat mutawasitatun, 'ayuradif 'awaluha taliha. fahi muhawalat 'asilat lam tataha alsaabiqina, alati badat liqariina

bithawbiha alqawibi, alati yujad biha fi lmi shatat altaeadudiati, watukhtabar madaa tamthil aldaal limadlulih, wabialtaali dabt madlul alwaqf walaibtida' quraniana wamuejimia.

المقدمة

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُللهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ وعلى وأصحابه المنتجبين.

أمَّا بعدُ:

فما اضمحلَّتِ الظلمةُ، ولا بزغَ النورُ، ولا انبلجَ الضياءُ، ولا تنسَّمنا الزاكيَ، إلا بالقرآنِ وعلومِهِ؛ لِمَ لا وهو القائلُ في كتابهِ العزيز: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ {الاسراء: ٨٢}، فهو الكتابُ الَّذي لا تَفْنى عجائِبُهُ، ولا تنقضي غرائِبُهُ، ولا تُكشَفُ الظلماتُ إلا بهِ، فهو حبلُ اللهِ المتين ، وفيه ربيع القلوب وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره، فسبحان الله أبدا، على نعمة كتابه، التي أنارت دروبنا، وشفت قلوبنا، وكيف لا نَقَرَّ ناظرا وقد وهبنا الرحمن نعمة البحث في أحد علوم القرآن الكريم، ألا وهي (علم الوقف والابتداء)، فهو أحد أهم علوم القرآن، والذي يمازج بين علم التفسير من كنف، وبين علم التجويد من كنف آخر.

حيث يقوم هذا البحث على فكرة محورية، وهي توحيد مسمى علم الوقف والابتداء، بطريقة تحليلية أصيلة، سوف تبدو لقارئنا الكريم بثوبها القشيب؛ فقد بات مسمى هذا العلم يكابد مشاقّ التعددية، ومع فرادة مفهوم الوقف والابتداء إلّا أنّه انماز بثراء في دالِّه، فقد حسب بعض الباحثين أنَّ هذه التعددية هي ثراء للعلم، إلَّا أن المصطلح يوضع إزاء مفهومه فكلما كان الاسم طباق المسمى كان أكثر وفاءً لمفهومه، بناء على ذلك إتقان التعرف بالإسم على المسمى، صون وجُنَّة وانضباط يقي إلتباد علم ما مع علم آخر؛ فما بين الدال والمدلول اِلْتمام والتصاق؛ فمتى ما حظر مفهوم علم الوقف والابتداء في الذهن حظر أسمه وبالعكس.

ولا بد من الإشارة الى قصدية هذا البحث، فهو ينقب عن اسم جامع مانع يمثل مفهوم هذا العلم تمثيلا منضبطا (معجمياً وقرآنياً)، وكذلك لِمّ شتات التعددية وتوحيد الدال ضمن نطاق فني منضبط؛ ليقودنا الى ضبط المصطلحات القرآنية في بيئة قرآنية، وتحقيق اتساق خارجي، لتحقيق الانسجام الداخلي؛ بعد تطويع الاسم وضمهِ الى المسمى بإضمامة معنوية متسقة ظاهريا، منسجمة معنويا.

حيث قام البحث على مقدمة ومباحث وخاتمة البحث ونتائجه ثم هوامشه ومصادره ومراجعه، أما المبحث الأول: فقد تناول إشكالية وأسباب التعدد الاصطلاحي، فقد وسمناه ب(ثبات المفهوم وتداخل المصطلح)، وهذه الإشكاليات المطروحة في المبحث الأول، شرعنا في معالجتها في المبحث الثاني (معجمياً وقرآنياً) تحت مسمى (ضبط الدال معجمياً وقرآنياً)، ونسأله جل وعلا أن نكون قد أصبنا، فإن لم نصب فهو أهل للتوفيق والسداد لنا في قابل الأيام، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمدلله بدءاً وانتهاءً، والصلاة والسلام على محمد وآله الأتقياء الأولياء المنتجبين.

المبحث الأول :ثبات المفهوم وتداخل المصطلح .

توطئة:

يقوم هذا المبحث في محاولة أصيلة في علم الوقف والابتداء، تدور حول توحيد مسمّى هذا العلم، واختبار مدى تمثيل الدالّ لمدلولـــــــه، ثمّ ضبط مدلول الوقف والابتداء قرآنيّاً ومعجميّاً؛ فقد بات مسمى هذا العلم يُكابد مشاقّ التعدّدية، فقد يحسب البعض أنَّ هذه التعددية هي ثراء للعلم، بل نرى في ذلك تداخل التسميات؛ لأن عدم وضوح التسمية لعلم ما يعني عتمة فهم للمفهوم ، أَمَّا إتقان المفهوم يعني اتقان المصطلح.

ولا بدّ من الإشارة إلى قصدية هذا المبحث حيث ينقب عن اسم جامع مانع يمثّل مفهوم هذا العلم تمثيلاً منضبطاً، بعد الموازنة بين المسمى والاسم معجمياً وقرآنياً، وربَّ مُشكِّك يرى أنَّ لا أهمية للاسم؛ وما تواضع عليه العلماء سابقاً، بعد أن عرف به العلم للوهلة الأولى، وبعد شيوع ذلك الاسم؛ لا حاجة لإعادة اقتراح تسمية أُخرى، أو تعديل أو إضفاء ما يُرى عليه مناسباً، بل لا بدَّ أن يرد هذا الرأي؛ لأسباب مهمّة يتوجّب على الباحث المُجِيد أن يكون دقيقاً في الاسم، وما للاسم من مشروعية أشار إليها القران الكريم ، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] .

يعود معنى المصطلح إلى الأصل المعجميّ (صلح)[١]، فهو بمعنى توافقوا وتواطؤوا على أمر ما[٢]، والمصطلح هو "آلة معرفية... يرجع إليها طالب العلم من أجل الفهم" [٣]، حيث يُعدّ الجاحظ (ت٢٢٥هـ) أوّل من استعمل هذا الفعل (اصطلح) في حديثه، عن المتكلّمين قال: "اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم"[٤]. ولم يكن لهذا العلم صدًى أو اهتمام عند المتقدّمين، إنّما راج هذا العلم عند المتأخّرين وإن لم يستقرّ؛ إلّا أنّه نضج نضجاً كبيراً .[٥]

يُمثّل المصطلح الاسم أو المظهر الخارجيّ أو الباب الذي يُعرف به كلّ علم من غيـــــره، أمّا المفهوم فهو المسمّى، ولا يُكمن التمام إلّا في اتّحاد الدالّ مع المدلول، ودون أدنى مظنّة أن لا حديث يطول في ثبوت المفهوم؛ لأنّ المفهوم سابق للتسمية وماثل في الذهن؛ فالأسماء دلالات تضمّ في طيّاتها قيمة، أمَّا المسمّى فهو رهينة المادّة الاصطلاحيّة التي خلق من رحمها ذلك الاسم، فما نراه مناسباً أن يخلق الاسم من رحم المفهوم، فبين التسمية والمسمى علاقة طبيعية، كعلاقة الدخان بالنار، إذ لا دخان بلا نار أو بالعكس، فيتوجّب على من يصطلح الأسماء أن يراعي هذه العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، من خلال ضبط المصطلحات، وعلى وجه الخصوص مصطلحات علوم القرآن ضبطاً يليق بها وببعدها القداسيّ؛ والسبب يعود في كون المفهوم يؤثّر في حامله -أي المصطلح- فقيمة الدالّ في معناه، ودوماً المفهوم يُطالب الدالّ بتمثيله تمثيلا دقيقاً، وكذا الحال مع المصطلح فهو ينال مكانته بحسب قيمة المفهوم، على سبيل المثال، كلمة (شيطان) بتجريدها من مفهومها، هي ليست سوى تسمية تتألّف من عدّة حروف، لكن بعد قرنها بمفهومها اكتسبت دلالتها الدنيا؛ لذا دوماً المسميات تطالبنا حقها، والتسميات تطالبنا في ضبطها، وإليك خطاطة توجز ما أشرنا إليه :

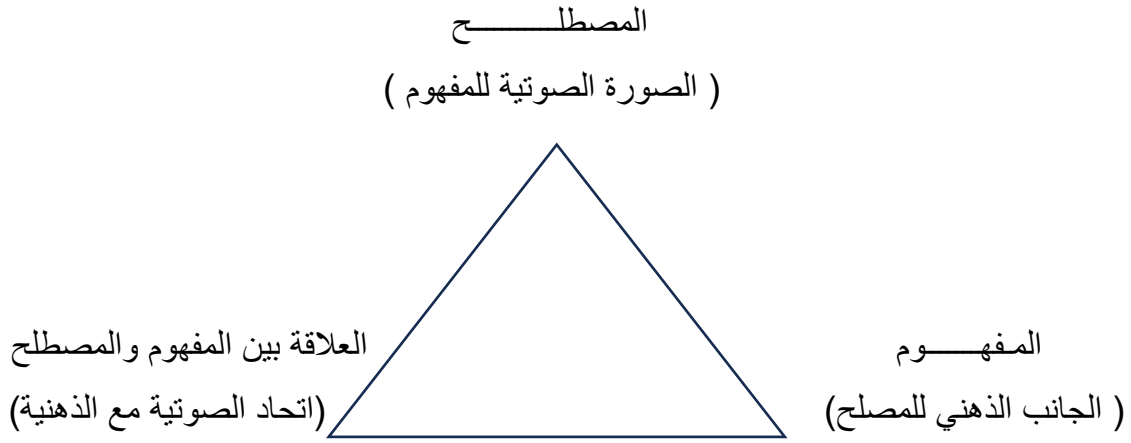

- **تداخل المصطلح :**

كَثُرت تسميات علم الوقف والابتداء؛ لكثرة الذين كتبوا فيه، بدءاً بالقرن الثاني الهجريّ إلى وقتنا الراهن، فقد اصطلح العلماء تسميات لهذا العلم بحسب ما يرونه مناسباً، إلّا أنّ الشائع في تسمية هذا العلم؛ هو (الوقف والابتداء)؛ وهو الأكثر شهرة عند العلماء، حتّى صار ماثلاً في أذهانهم، وبحسب ما نراه، يعود السبب في شيوع تسمية الوقف والابتداء، بالمقارنة مع باقي تسميات هذا العلم؛ لوصول مؤلّفات بعض المؤلّفين دون غيرهم، التي لاقت شهرة ورواجاً، منها كتاب الوقف والابتداء لابن سعدان الضرير(ت٢٣١هـ) ، وكتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لابن الانباري (ت٣٢٨هـ) .

فكان غالبيتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين، التي وسمها العلماء بالوقف والابتداء، بينما الكتب التي ألفت في القرن الثاني الهجري مع أنّ أولها وسم بمقطوع القرآن وموصوله، لكنّ شيوع التأليف وحركة ازدهار العلوم في القرن الثالث ووصول مؤلّفات بعض العلماء دون مؤلفات سابقيهم أو لاحقيهم كلّ تلك الأسباب أدّت إلى رواج تسمية علم الوقف والابتداء، كما وقد توفرت في تسمية (الوقف والابتداء) شروط الاصطلاح الفنية ومنها الاختصار والسهولة فاللفظ الاصطلاحي إذا طال هجرَه الناسُ.[٦]

وقد تواضعوا أيضا على تسميات أخرى أقلّ شهرة، وهي (المقطوع والموصول)، (القطع والائتناف أو الاستئناف)[٧]، (الوصل والفصل)،أو (المفصول والمقطوع)، وهنالك بعض التسميات التي شحَّ سماعها إذا ما قورنت بالتسميات السابقة ، وهي (المقاطع والمبادئ)[٨]، أو (التمام والابتداء) .[٩]

حيث شاع الوصل والفصل عند البلاغيين[١٠]؛ لعنايتهم بمواضع العطف بين الجمل، أمَّا القطع والوصل فقد كثر سماعه عند (النحاة)[١١] ؛ لاهتمامهم في كيفية تجريد أواخر الكلمات من الحركات الإعرابية عند الوقف، إلّا أنّ (علماء الصوت)[١٢] ، و(علماء القراءات)[١٣] ، وغالب (علماء التجويد)[١٤] اكتفوا في تسمية هذا العلم بالوقف والابتداء، وشاع استعماله عندهم.

والذي نلحظه من هذا التعدّد؛ هو ضياع تحديد الهويّة الدقيقة لهذا العلم، وأنّ هذا التعدّد يوقع الباحث في حيرة الاختيار، ومن المعلوم أنّ لكل اسم مادة معجميّة خاصّة به؛ فالصياغة الاصطلاحية تستمد كفاءتها وثراءها من تربتها المعرفية التي نشأت فيها [١٥]،

ومع التنقيب ألفينا جهود بعض المحدثين منها ما بينه كمال بشر في كون (وقفة) هي أنسب من (وقف)، فتكون وقفة عوضاً عن الوقف؛ لانّ الوقفة لا تتحقق إلّا عند تمام الكلام في مبناه وفي معناه[١٦] ، وهذه المساعي التي كُتبت لم تعنَ بالمصطلح وصناعته من مادّته الخام الأولى، حيث سيتولى المبحث الثاني من هذا المبحث في التنقيب (معجمياً وقرآنياً)، في أي التسميات أوفق لهذا العلم.

المبحث الثاني : ضبط الدال معجمياً وقرآنيًا .

المطلب الأول: تسميات الوقف الابتداء معجمياً .

إنَّ الطريق السليم لدقة المصطلح هو مادّته المعجميّة؛ لأن كثرة التسميات والاصطلاحات لعلم ما يخرجه من أُطره المنضبطة، ومن ثَمَّ يُصبح المفهوم ركيكاً وقاصراً في التعريف عن نفسه، وهذا يعني ، عتمة فهم للمفهوم .

ومن هنا ندعو قارئنا الكريم إلى ممارسة معجمية تفكيكية في استحصال النقي والمستطاب، لبلوغ وتصدير السليمة والكفوءة من بين رفيقاتها؛ ولتمثيل دال هذا العلم تمثيلاً ثاقباً، ومع التقدّم العلميّ الحاصل في جميع العلوم، ورواج دلالة المصطلح عند المحدثين، والتجديد في التسميات؛ فإنّ قصورها يؤدّي بها إلى عدم الثبات والصمود والعدول لاحقاً .

وبمـــا أَنَّ الاسم هو الذي "يَرُد كثير اللفظ إلى قليله؛ وفائض اللفظ إلى مقتصده"[١٧]، وهو هوية المسمى وهو الباب الذي يعرف به كل علم من غيره؛ فكان لا بدّ لنا أن ندقق في تسمية هذا العلم، ونعيد مادته إلى أصولها الأولى، ونضفي عليه ما نراه مناسباً؛ لذلك اقترحنا أن نعيد تسميات هذا العلم إلى مادتها المعجمية التي ولدت من رحمها؛ لنتبيّنها.

والـــــذي يعيننا على ذلك كلّه هو اختبار الاسم معجميّاً، لنتلمّس كفاءته، وننقب عن تطابقه مع مضمونه، وأي تلك التسميات هو الأكثر دقة من غيره. حيث بان لنا افتقار هذا العلم في البحث والتدقيق في تسمياته، إلَّا أنّنا لا ننسى الجهود اليسيرة لبعض العلماء المحدثين ، في تعيين المصطلح الكفء والدقيق، فهي جهود نجدها بين حين وآخر عند علماء الأصوات وعلماء التجويد؛ فرقوا فيها بين الوقف و السكت و القطع. [١٨]

وبالعود إلى تسمية الابتداء، نجد أَنَّ العلماء قد تواضعوا على تسميات عديدة، كلّها يُراد بها الائتناف بعد الوقف وهي (الابتداء، الائتناف، الاستئناف، الوصل، الموصول)، وصحيح أنّ تلك التسميات متقاربة الدلالة للوهلة الأولى، إلّا أنّ البحث في دلالاتها المعجمية يبيّن أنّها مختلفة، وبالرغم من أَنَّ الابتداء لم يحظ بما حظي به الوقف من اهتمام عند العلماء، وأَنَّ الوقف هو المقدم والابتداء مترتب عليه؛ إلّا أنَّه حظي بتسميات خمس، فكان الابتداء أكثرها شهرة، حيث يكثر مصطلح الابتداء عند علماء القراءات، وعلماء التجويد، وعلماء الصوت، وعلماء علوم القران[١٩] ، فمادة بدأ عند اللغويين يُراد بها: افتتاح الشيء وأوّل الشيء، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠]، "أي تمام أوّل الشيء مطلقاً" [٢٠]، والمراد من الابتداء في هذا العلم ؛هو الابتداء المترتّب على الوقف، الذي لا يتحقق بدونه، ولا يراد به الابتداء في أول الكلام أو الابتداء السابق للوقف؛ لهذا فقد ذهب العلماء إلى تقسيم الابتداء على قسمين، وهما الابتداء الأوّل والابتداء الثاني، أو الابتداء الحقيقيّ والابتداء الاختياريّ، أو الابتداء التامّ والابتداء الناقص. [٢١]

والمقصود بالابتداء الأوّل أو التامّ أو الحقيقيّ؛ أي الابتداء في أوّل الكلام، أمّا الابتداء الثاني أو الناقص أو الاختياريّ؛ أي الابتداء المترتّب بعد الوقف، والمتحقّق بعد تحقُّق الوقف فهو تالٍ له ومترتّب عليه، وهذا هو الابتداء المُراد في هذا العلم كما عُرّف "بانّه الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف". [٢٢]

ولمّــا كان الابتداء في اللغة هو افتتاح الشيء أو أوّله، وكان الابتداء في هذا العلم مترتِّباً على الوقف وملتصِقاً به، وليس المقصود منه ابتداء افتتاح الكلام أي ليس الابتداء الحقيقيّ أو الابتداء الأوّل؛ لذا فقد بدا لنا أنَّ مصطلح الابتداء لا يُطابق المفهوم المراد من هذا العلم .

ولذا فالابتداء هو أوّل الشيء والائتناف هو ابتداؤه بعد تركه [٢٣]، والابتداء كما قلنا: هو الشروع في القراءة بعد وقف أو قطع، ويبدو أنَّ الدلالة المعجميّة وافقت المفهوم المراد من هذا العلم؛ لـــــذا فقد بدا لنا أنَّ الائتناف او الاستئناف هو أوفق التسميات لهذا العلم، بمعنى أنَّ كلّ ائتناف هو ابتداء، وليس كلّ ابتداء هو ائتناف .

إذ فطن سيبويه بإشارته إلى أنَّ الابتداء بعد القطع " فترفعه على الابتداء والقطع من الأول"[٢٤]، وهذا يعني ممّا يعني أنّ سيبويه استعمل الكلمة الدقيقة في مفهومها المناسب، وأيضاً لا توافق بين الوقف والابتداء، فالقطع إعراض عن القراءة، والذي يتبعه الابتداء لا الاستئناف .

بقي من تسميات الابتداء (الوصل والموصول) وهما أصل واحد، يُراد بهما معانٍ كثيرة، منها الوصل ضد الفصل، واتصال الشيء بالشيء أي لم ينقطع والوصل خلاف الفصل[٢٥]، ومن الملاحظ أنَّ الفصل ليس مترتّباً على الوصل؛ وإنّما هو متحقق بذاته، بينما الائتناف متحقق بغيره. لذا فإنّنا نتبيّن من مصطلح الوصل قصوره من الناحية المعجميّة؛ لما للوصل من ميزة أنّه متحقِّق مع الفصل أو بدونه، فالوصل قائم بذاته، غير مترتّب على الوقف .

أمّا مادّة (وقف) فتسمية الوقف هي أرفع وأمجد التسميات؛ لأنّها باكورة ما اشتهر فيه هذا العلم وهو الذائع صيته من بــين تـلك التسميات، ولمّا كانت رفيقات الوقف لا تُضـــــاهيه، ولم تحظ بما حظي به الأخير من تَرَفُّع وشهرة، تُرى، هل أهميّته هذه تضاهي دقته؟!

وبعد إعادتها إلى تربتها المعرفيّة التي ولدت منها، فقد أرجع ابن فارس تلك الدلالات جميعها إلى دلالة واحدة، وهي المكث في شيء ثمّ يُقاس عليه، قال تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وعند أهل التفسير تعني غاب زمناً يسيراً[٢٦] ، والوقف هو قطع الصوت زمناً بِنِيّة استئناف القراءة[٢٧]، وعلى هذا فقد رأت الباحثة أنّ تسمية الوقف تُطابق المفهوم تطابقاً تامّاً، ولا مشاحة في التسمية وأنّ الوقف أوفق المصطلحات وأدّقها في تمثيل هذا المفهوم، ليجيبنا هذا القدر على سؤالنا الذي طرحناه، وهو أنّ الوقف يوافق ويُطابق ويُماثل مضمون هذا العلم .

أمّا القطع فيراد به معانٍ كثيرة [٢٨] تدور تلك المعاني حول التفريق وقطع الوصل والفصل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] ، ولمّا كان القطع يُراد به التفريق وقطع ما قبل الوقف عما بعده؛ فقد بان لنا أنّ القطع هو قطع وشيج القرابة بين الألفاظ أو الجمل، وهذا يُخالف مُراد هذا

العلم ونجد تداخل هذا المصطلح، وهذا ما ذهب إليه علماء الأصوات وبعض علماء التجويد، عند تفريقهم بين القطع والوقف؛ لأنّ القطع يُراد به قطع القراءة والإعراض عنها، أمّا الوقف فيُراد به قطع القراءة زمناً ثمّ استئنافها لا الإعراض عنها؛ لذا فالقطع يُراد به القطع أبداً، أمّا الوقف فيُراد به القطع زمناً.

بقي عندنا من هذه الأسماء (الفصل)، حيث جاء في المعنى المعجميّ لكلمة (فصل) أنّ الفصل يُراد به "الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع"[٢٩] ، أي أنّ الفصل هو فصل الألفاظ أو الجمل عن بعضها بعضاً بحاجز، يفصل تلك المعاني عن بعضها بعضاً، ولمّا كان الوقف أحد أسبابه التنغيم في السلسلة الكلاميّة، فالفصل يُراد به القطع، وفصل الشيئين، والحاجز بين شيئين؛ لذا فدلالة الفصل تبتعد كثيراً عن مفهوم علم الوقف؛ ليتبين لنا تداخل مادّة فصل وعدم وضوحها .

فقد بان لنا أنّ تسميات الوقف والابتداء، ما زالت متداخلة، وغير مستقرّة، وغير واضحة المعالم الدلاليّة، لذا فإنّ عدم استقرار المصطلح يعني ضياع تحديد هويّته، وضرورة أن يُدقّق الباحث في دقّة المصطلح، بغضّ النظر عن العلم الذي يبحث فيه كذلك توحيد التسمية؛ لأنّ تعدّد التسميات يوقع الباحث في حيرة الاختيار، وأنّ تعدّد المصطلح وعدم ضبطه معجميّاً يعني خللاً في تلك العلاقة القائمة بين الدالّ والمدلول، وضياع جنبة كبيرة من جوانب فهم المفهوم .

المطلب الثاني: الوقف والابتداء قرآنياً .

ائتلف العلماء على ان القرآن معجز في الالفاظ وفي المعاني، يقول الخطابي (ت٣٨٨ هـ) إنما صار القران معجزا لأنه "أتىٰ بأفصَحِ الألفاظِ في أحسنِ نُظُوم التأليف مُضَمّنًا أصَحّ المَعاني"[٣٠]، وهذا ما لوَّحَ إليه القران الكريم: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}[٣١]، وقال تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[٣٢]،وقال تعالى {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[٣٣]، فالله سبحانه دعانا إلى كتابه عندما يقول لنا تبيانا كل شيء.

وعند العود الى المعاجم اللغوية، نجد أَن أصحاب المعاجم قد اشتقوا معاني غفيرة من الشعر العربي ومن كلام العرب، وبما ان القران الكريم أتى بأفصح الألفاظ بشهادة ألد أعدائه؛ فلمَ لا نشتق دلالات معجمية من القران الكريم، أوليس الاجدر بطالب العلم ان يبتدأ أولا في اشتقاق معاني من القران الكريم؟

الوقف والابتداء قرآنيا:

في مسيرنا الى اشتقاق معنى قرآني لكلمة (بدأ)، ألفينا أَن مادة (بدأ) وردت في القـرآن إحدى عشرة مرة، منها قوله تعالى:{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَـلْقَ }[٣٤]، أي كيف بدأ الله الأشياء وكيف انشأَها وأَحدثها؛ وأَوجدها ابتداءً[٣٥]، وقوله تعالـى:

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيـنَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ }[٣٦]، أي انشأكم ابتداء أو خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا [٣٧].

وقال تعالى:{بَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ}[٣٨]،حيث" أمر أصحابه.. أن يبدؤوا بأوعية الجماعة قبل وعاء أخيه".[٣٩]

فالابتداء في استعمال القران الكريم يجوب معناه في القرآن الكريم بمعنى وِتْرٍ فحسب، وهوعمل الشيء أولا، وأول الشيء مطلقا، ويظهر دقة ما ذهبت إليه المعجمات اللغوية، من دلالات مادة (بدأ)، التي يراد بها أول الشيء مطلقاً -كما أشرنا مُسبقاً- لان الابتداء بعد الوقف هو ليس أول الشيء وانما مترتب على الشي أي مترتب على (الوقف)، ليرفدنا ذلك ويقتادنا لدقة المعنى المعجمي في مادة بدأ، وائتلاف المادة المعجمية مع الدلالة القرآنية.

أما وقف في القرآن الكريم، فإنها وردت في القران الكريم في أربعة مواضع :

١- قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٠]، إذ وقفوا يعني إذ حبسوا على النار.[٤١]

٢- قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٤٢] ، قال الزمخشري (تـ٥٣٨هـ) "وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال".[٤٣]

٣- قال تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٤٤]، "أي قفوهم حتى يسألوا حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم".[٤٥]

٤- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [٤٦]، إذ وقفوا عند ربهم.[٤٧]

ولمّا ارتوى بحثنا وهنئَ ونقع، بعد ان نقبنا في القرآن الكريم عن معانٍ لمادة (وقف ألفينا لها استعمالين فحسب، كان في أول انبلاج للفظة في استعمال القرآن الكريم بحسب التسلسل الزمني لنزول السور، في سورة الانعام المباركة، وجاءت بمعنى الحبس، ثم في المرة الثانية استعمل القران وقف بمعنى التوقف كما يقول الراغب الأصفهانيّ" وموقف الإنسانِ حيث يقف"[٤٨] ؛ فلم تأت وقف في القران الكريم على غير ذلك فالأول يراد به الحبس، أما الاستعمال الاخر الذي أَطل علينا كان بمعنى التوقف، لنصل إلى أن مراد الوقف ومفهومه في علم الوقف والابتداء، يقارب الاستعمال القرآني.

خاتمة البحث ونتائجه :

١- ربَّ مشكك يرى أنَّ لا أهمية للاسم؛ وما تواضع عليه العلماء سابقا، بعد ان عرف به العلم للوهلة الأولى، وبعد شيوع ذلك الاسم؛ لا حاجة لإعادة اقتراح تسمية أُخرى، أو تعديل أو إضفاء ما يراه العلماء عليه مناسبا، لا بد ان يرد هذا الرأي؛ لأسباب مهمة يتوجب على الباحث المجيد أن يكون دقيقاً في الاسم، وما للاسم من مشروعية أشار إليها القران الكريم ، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٤٩]

٢- ضرورة أن يدقق الباحث في دقة المصطلح، بغض النظر عن العلم الذي يبحث فيه.

٣- توحيد التسمية؛ لأن تعدد التسميات يوقع الباحث في حيرة الاختيار.

٤- بعد التنقيب في معاني مادة وقف معجمياً وقرآنياً، نَجَمَ لنا دقة مادة وقف في تمثيل مدلولها، وان مادة وقف هي من أوفق التسميات، في حين يقترب مفهوم الابتداء من اسمه بمادة معجمية واحدة، لأن علم الابتداء بالائتناف أو الاستئناف؛ لمطابقة مفهوم الائتناف مراد هذا العلم ومفهومه، ومما نَتَجَ من آثار؛ تمزيق مصطلح الابتداء الى ابتداء أول وابتداء ثاني وما الى ذلك، للتخلص من الإشكالية الكائنة في عدم مطابقة الابتداء لفحواه ومراده، وأيضا نجد أن الاستئناف من اوفق التسميات في تمثيل مفهوم الابتداء.

٥- القرآن وبيئته ليست قاصرة في خلق تسمية كفء، أو اختبار مدى تطابق مفهوم مع تسميته.

الهوامش

[١] ينظر : مقاييس اللغة ،ابن فارس : مادة (صلح) .

[٢] ينظر : لسان العرب ،ابن منظور : مادة (صلح) .

[٣] من القران إلى القرانية ، محاولة في التأسيس المفاهيمي والمصطلحي–وتحليل النص، د عباس امير : ١٩ .

[٤] البيان والتبيين ، الجاحظ : ١/ ١٣٩، دلالة المصطلح عند المحدثين بين العدول والثبات ،د. كاظم الغريري:٩ .

[٥] ينظر : علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في اللغة العربية ، د.ممدوح خسارة : ١١ .

[٦] ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان: ١٥٩، الوقف والابتداء في الجملة العربية دراسة دلالية تطبيقية في القران الكريم والشعر العربي، د. فكري عبدالمنعم: ٤١.

[٧] تعود تسمية القطع والائتناف لابي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، وبحسب نتائج البحث التي توصلنا اليها معجميا وقرآنيا، أن النحاس أصاب مرة وجانب الصواب مرة أخرى، فقط أصاب في تسمية الابتداء بالائتناف أو الاستئناف وأخفق في تسمية الوقف بالقطع، وكما وضحنا في البحث.

[٨] تعود تسمية المقاطع والمبادئ لابي الحسن الاخفش (ت ٢١٥هـ)، ثم تبعه في هذه التسمية ابو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ).

[٩] كُثُر من سمّوا هذا العلم بوقف التمام أمثال أبي الحسين محمد بن الوليد التميمي البصري (ت ٢٩٨هـ) صاحب كتاب (التمام أو وقف التمام)، حتى يختزل الوقف منها ويسمى (بالابتداء والتمام) والمراد من التمام علم الوقف، وتعود هذه التسمية لأبي عبد الله بن خيرون المعافري (ت٣٠٥هـ).

[١٠] ينظر: دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٥٧ ، مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي : ٢٤٩ ؛ الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٢٤٦ .

[١١] ينظر: الكتاب ، سيبويه : ٤/ ١٦٦، الخصائص ، ابن جني : ١/ ٥٧ ، شرح المفصل ،ابن يعيش :٩/ ٦٦ .

[١٢] ينظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم انيس ؛ ١٢؛ فاضل السامرائي ؛الجانب الصوتي للوقف في العربية ولهجاتها ، أحمد طه سلطان : ١٥ ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري : ٤٣٥ .

[١٣] ينظر : النشر في القراءات ، ابن الجزري : ١/ ٢٤٩ ؛ الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ،عبد الفتاح القاضي : ١٧٦ .

[١٤] ينظر : الوجيز في علم التجويد ، محمود سيبويه البدوي :٤١ ، العميد في علم التجويد ، محمود بن علي بسة المصري : ١٥٠ ، غاية المريد في علم التجويد ، عطية قابل نصر :٢٢٢ .

[١٥] ينظر: من القران إلى القرآنية ، د. عباس امير : ٢٥ .

[١٦] ينظر : فن الكلام: ٢٧٨ .

[١٧] من القران إلى القرآنية ، د. عباس امير : ١٩ .

[١٨] ينظر : معجم المصلحات الصوتي عند علماء التجويد ،مكريني ، بلقاسم : ١٩١ .

[١٩] ينظر : البرهان في علوم القران، الزركشي : ٢٣٥/١، الاتقان في علوم القران ، السيوطي : ٢٣٢ .

[٢٠] مقاييس اللغة ، ابن فارس ؛ مادة (بدأ) : ١/ ٢١٢ .

[٢١] ينظر : الوقف والابتداء في الجملة العربية دراسة دلالية تطبيقية في القران الكريم والشعر العربي ، د. فكري عبد المنعم : ٣٩ ، ينظر شرح تهذيب المنطق ، عبدالله بن حسين اليزدي : ٢٨ .

[٢٢] معجم مصطلحات علم القراءات القرانية، د.عبد العلي المسئول: ٢٧.

[٢٣] ينظر : المصدر نفسه .

[٢٤] الكتاب : ١/ ٦٠ .

[٢٥] لسان العرب : مادّة (وصل) .

[٢٦] تفسير القران العظيم ، ابن كثير : ٤ .

[٢٧] ينظر : النشر في القراءات العشر : ١ / ١٨٩ .

[٢٨] ينظر : لسان العرب : مادة (قطع) :١٢/ ١٣٩.

[٢٩] لسان العرب : مادة(فصل) ، ١١، ١٨٩.

[٣٠] بيان اعجاز القرآن ، الخطابي ؛ ص ٢٧.
[٣١] الشعراء: ١٩٥.
[٣٢] فصلت: ٣.
[٣٣] سورة الزمر : ٢٨.
[٣٤] ٢٠: العنكبوت.
[٣٥] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ؛ ج١٨ / ص٣٧٧ ؛ مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي ؛ ج٨ / ص١٦...
[٣٦] الأعراف: ٢٩.
[٣٧] ينظر: التفسير الكبير ، الرازي ج ١٤ / ص ٥٨ ؛ روح المعاني ، الآلوسي ؛ ج ٨ / ص ١٠٧ .
[٣٨] يوسف: ٧٦.
[٣٩] التبيان، الطوسي، ج٦ /ص١٧٤.
[٤٠]الأنعام: ٢٨
[٤١] ينظر: جامع البيان، الطبري:ج٩ /ص٢٠٦، تفسير القرطبي، القرطبي:ج٦/ص٣٢٠.
[٤٢]الأنعام: ٣٠
[٤٣] الكشاف، الزمخشري:ج٢/ص١٥،
[٤٤]الصافات: ٢٤
[٤٥] تفسير القران العظيم، ابن كثير:ج٤/ص٥.
[٤٦]سبأ: ٣١
[٤٧] ينظر: تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، السعدي: ج٦، ص٤٣٤، الميزان، الطباطبائي:ج١٦ / ص٣٨٢.
[٤٨] المفردات في غريب القرآن: ص٨٨١.
[٤٩]البقرة:٣١

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

أوّلًا : المصادر المطبوعة .

١. الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية،ط١،(دار الكتب العلمية – بيروت).

٢. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي(ت:٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ،ط٣ ،(القاهرة _ مطبعة المدني، ١٩٩٢م).

٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف(ت:٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، ط١(المطبعة التجارية الكبرى).

٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان(ت: ٣٩٢هـ)، الخصائص،ط٤ ،(الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بلا. ت).

٥. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي(ت:٣٨٨هـ)، بيان إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله، ط٣ ،(دار المعارف بمصر،١٩٧٦م).

٦. الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (ت: ٤٤٤هـ)، محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط١، (دار عمار – ٢٠٠١م).

٧. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين(ت:٦٠٦هـ)، التفسير الكبير ، ط٣، (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

٨. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت ٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، ط٥، (المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ١٩٩٩م).

٩. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت:٧٩٤ه)، البرهان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١(دار إحياء الكتب العربية_ دمشق ،١٩٥٧م).

١٠. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ) ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣،(دار الكتاب العربي – بيروت).

١١. السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي(ت: ٦٢٦هـ)،مفتاح العلوم ، ط٢ ،(دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٨٧م).

١٢. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر (ت: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣ ،(مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٨م).

١٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٤م).

١٤. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، (١٤٠٢ هـ) .

١٥. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت:٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دار التربية والتراث - مكة المكرمة).

١٦. الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن(٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرأن ، ط١ ، (المطبعة العلمية_ النجف، ١٩٥٧م) .

١٧. ابن فارس ، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت:٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،(دار الفكر_ بيروت،١٩٧٩م).

١٨. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٦٤م).

١٩. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين (ت: ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،ط٣ ،(دار الجيل – بيروت).

٢٠. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة، ط٢ ،(دار طيبة للنشر والتوزيع ،١٩٩٩م).

٢١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى المصري (ت:٧١١هـ)، لسان العرب ، ط٣،(دار صادر – بيروت).

٢٢. ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي(ت:٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري،ط١،(دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠١م).

ثالثا : المراجع :

٢٣. حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، (عالم الكتب_ القاهرة ،٢٠٠١م).

٢٤. النجار ، فكري عبد المنعم ، الوقف والابتداء في الجملة العربية `دراسة دلالية تطبيقية في القرآن الكريم والشعر العربي، (مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠١٧م).

٢٥. أنيس، إبراهيم، الاصوات اللغوية، (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) .

٢٦. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، (دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م) .

٢٧. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، ط٤ ،(مكتبة السوادي للتوزيع، المدينة المنورة ،١٩٩٢م).

٢٨. البدوي، محمود سيبويه، الوجيز في علم التجويد، د.ت .

٢٩. المصري، محمود بن علي بسّة، العميد في علم التجويد، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى، ط١، (دار العقيدة – الإسكندرية،٢٠٠٤م).

٣٠. نصر، عطية قابل ، غاية المريد في علم التجويد، ط٧، (القاهرة) .

٣١. أمير، عباس، من القرآن إلى القرآنية؛ محاولة في التأسيس المفاهيمي والمصطلحي، (دار نلسن ،٢٠٢٢م).

٣٢. بلقاسم ، مكريني ، معجم المصطلح الصوتي عند علماء التجويد ، دار الكتب العلمية ،٢٠١٣م).

٣٣. بشر، كمال، فن الكلام، (دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م).

٣٤. المسئول، عبد العلي، معجم مصطلحات علم القراءات القرأنية، ط١(دار السلام _ القاهرة ، ٢٠٠٧م).

٣٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ط١، (مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٢م).

٣٦. الهمس، طاهر محمد، الوقف والابتداء للنيسابوري، كلية الاداب _ جامعة دمشق، ٢٠٠٠م).

٣٧. حديد، محمد توفيق محمد، معجم مصنفات الوقف والابتداء، (مركز تفسير للدراسات القرآنية ،٢٠١٨م).

٣٨. القرش، جمال إبراهيم، دراسة الوقف والابتداء، تحقيق: حسن محمد الحفظي واخرون ،ط١ (الدار العالمية).

٣٩. الأشموني، أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ،ط٢ ،(مطبعة مصطفى البابي ،١٩٧٣م).

٤٠. النحاس، ابو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل، القطع والائتناف ،تحقيق: عبد الرحمن بن ابراهيم المطرودي، (جامعة الملك سعود _ المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢م).